

أضواء البيان

@ 193 @ تقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه الكلام عليه عند قوله تعالى : { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ، وقد بين سبب لهو المال والولد عن ذكر الله ، بأن العبد يفتن في ذلك في قوله تعالى الآتي في سورة التغابن { إِنَّ زِينَتَهُمْ أَهْوَاهُ وَالْكُفْرُ وَالْوَغْدُ كُفْرٌ فَتُنذِرُهُ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرُ عَظِيمٍ } . .

أي لمن سخر المال في طاعة الله ، وبالتأمل في آخر هذه السورة ، وآخر التي قبلها نجد اتحاداً في الموضوع والتوجيه . .

فهناك قوله تعالى : { وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِلِينَ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } . .

وجاء عقبه مباشرة سورة : إذا جاءك المنافقون ، ولعله مما يشعر أن الذين بادروا بالخروج للغير هم المنافقون ، وتبعهم الآخرون لحاجتهم لما تحمل العير ، وهنا بعد ما ركن المنافقون للمال جاء { لَا تُنْفِقُوا مِمَّا عَمِلْتُمْ بِهِ بَتًا إِنَّ رَبَّكُمْ عَنِ الْبَاطِلِ حَدَّثَ } يَنْفَضُّوا { فكانت أموالهم فتنة لهم في مقالتهن تلك ، فحذر الله المؤمنين بقوله : { لَا تُلْهِكُمْ فِيهَا مَالُكُمْ وَلَا أَهْوَاهُ وَلَا دُولُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ } سواء كان المراد بالأموال خصوص ذكر الخطبة والغير المتقدم ذكرهما ، أو عموم العبادات والمكتسبات . قوله تعالى : { وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ } . فيه الإنفاق من بعض ما رزقهم ، وتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه ، مبحث الاقتصاد في الإنفاق عند قوله في أول سورة البقرة { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } . قوله تعالى : { وَلَئِنْ يُلَاقُواكَ بِلَا إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ فَاذْكُرْهُم بِالنِّعَاتِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِمْ عَلَيْكُمْ } . وكذلك لا يقدمها عليه ، كما في قوله تعالى : { لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ وَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } . .

وبين تعالى عدم تأخيرهم مع أنهم وعدوا بأنهم يصدقون ويكونون من الصالحين ، مشيراً للسبب في قوله تعالى : { وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } أي لو أخركم ، لأن شيمتكم الكذب وخلف الوعد ، وأن هذا دأب أمثالهم كما بينه تعالى في قوله : { وَأَنْذَرِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ إِذْ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُكُمْ وَرَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ } .

